

بعض منتخبات من كتاب الامام بالاعلام في اجرت به الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية (سنة ٧٦٧ هـ)

تأليف النويري الاسكندري

الثلاثة المنتخبات الاتي ذكرها فيها بعد استخرجت من
الاوراق رقم ٢٥ ب الى ٢٦ ا و ٧٦ ب الى ٨٠ ا و ٩٤ ا الى
٩٨ ب (مخطوط مكتبة برلين) وقد نلت عليها في القسم الاثرنجي
السابق من هذا البحث.

١

ذكر الثامات التي رأيت قبل واقعة الاسكندرية ، قال المؤلف غفر الله
له ولوالديه وللأقرين اليه ولجميع المسلمين ، اخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله
محمد بن صلاح التاجر المصري قال كنت بالاسكندرية قبل الواقعة بايام قلائل
نرأيت في المنام ان رحبة الجامع الغربي (١) صارت يمرا طافحا واذا بالسما قد
مطرت جبرا يتوقد فشرب الجمر ذلك البحر بكماله وصار الجمر على حاله يتقد
ثم مطرت السماء بعد ذلك ماء فاطفي ذلك الجمر فصار فخا اسودا قال فددت يدي
الى فخمة لا تناولها فاقلمقت فلقنتين الواحدة كبيرة والاخرى صغيرة فتناولت
الصغيرة فلولا القيتها سريعا احترقت اصابعي من شدة حرارتها قال فاستيقظت

(١) انظر القسم الاثرنجي

من نومي فزعا مما رأيت فجرى بعد ذلك وقعة الاسكندرية ، واخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد المؤدب قال رأيت في المنام قبل وقعة الاسكندرية بايام قليلا كان سباتي (١) احترقتا بالنار فغير المنام المذكور بان الاسلام يحدث فيه حدثا فحدث أمر القبرسي بالاسكندرية ، واخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن احمد التاجر السفار قال كنت في الاسكندرية فرأيت في المنام قبل الوقعة بمخسة عشر يوما كاني في قصر عظيم علي ساحل البحر الملح وجماعة كثيرة من الرجال والنساء خرج القصر وكانهم احسوا بعناء فصارت النساء يلبطن خدودهن ويقفن واه واه قال فقلت لمن قولوا يا رسول الله نحن في حسابك نحن في جيرتك ثم قال ورأيت طائفة من الفرج مسلسلين داخلين الاسكندرية وفيهم جنس لهم اذنان كاذناب القروذ قال فاتبتهت من نومي مذعولا مما رأيت فجرى بعد ذلك وقعة الاسكندرية ، واخبرني علي بن راشد الحجازي التميمي بالاسكندرية والمدير يرفع التجار علي الدواوين يكتبون عليها خطوطهم قال رأيت في المنام قبل الوقعة بنصف شهر نسوة طوال القنمات عليهن اليزر البيض فسألت احداهن عنهن فقالت لهن اولاد الانبياء والشهداء والصالحين ضمنهن أبواهن خارجين بهن من الاسكندرية فقامت ما سبب ذلك قالت ان الاسكندرية مسخوط عليها قال فضربت بيدي الواحدة علي الاخرى واذا انا اسمع حس رجال ولا اراهم ثم ان النسوة اخفين عني وكن بشارع (٢) قاعة رماة القرافة ومدرسة البليسي قال فاتبتهت من نومي مرعوبا فجرى بعد ذلك وقعة الاسكندرية ، واخبرني الشيخ الصالح ريمحني الحبشي وذكر ان له سبع غزوات في الفرج قال بينما انا نائم بدمشق في شهر رمضان سنة ست وستين وسبع مائة واذا بقاتل يقول قم وامض الي الاسكندرية لتصلي علي اهلها قال فاتبتهت من نومي وانا متعجب

من ذلك فافوت منها الى القاهرة فاقت بها أياها وتوجهت الى الاسكندرية في اول المحرم سنة سبع وستين وسبع مائة فلما علمت ان الفرنج طغروا بالاسكندرية اختلطت بهم لمعرفة بلغتهم بعد ان تزيت بزيمهم وتوصلت الى الملك القبرسي فصرت مع جملة خدمه فاخترت احد مهابزه الذهب فصار عندي الي ان بعته بثلمائة درهما هرد ثم قال وكانت الفرنج تستخدم رجال المسلمين في النهب يحملونه لهم وقالوا لهم نعتكم بعد ذلك فلما فرغ النهب اخذوا سبعين رجلا منهم وربطوهم بالسلاسل في صدى مركب كان ملقى بالجزيرة واطلقوا فيهم النار فاحترقوا وماتوا شهداء رحمة الله عليهم .

- ٢ -

ذكر منام ريوك والد رير قبل مولد رير صاحب قبرس لعنهما الله تعالى وصفة فتح نصحابة رضي الله عنهم للاسكندرية ودمياط وغير ذلك من الواردات المستطردات ، حدثني ابو محمد عبد الله بن محمد الاسكندري عن بعض اسارى المسلمين قل كنت فيما مضى من الزمان اسيرا بقبرس وطالت مدني في الاسر بها فجلست يوما الى جانب قيس فسالني عن مصر واخبارها فشرعت اذكر له كثرة جيوشه واعددها وعظم مملكته ومنعتها وكثرة خيرها وبركتها فقتل القيس حدثني الملك ريوك صاحب هذه الجزيرة انه رأى في منامه قايلًا يقول له يخرج من صلبك ولد يظفر بالاسكندرية قال الاسير فتمعجت من قول القيس وقلت له هذا المنام اضغاث احلام ان صاحب قبرس لا تقدر على الاسكندرية ابدا خزانها ومنعتها وكثرة اهلها واسلحتها فقال القيس هكذا حدثني به الملك وانا ايضا متعجب من ذلك وقد يكون هذا المنام كما ذكرت اضغاث احلام ثم ضرب الدهر غربانه وصح منام ريوك المذكور وظفر رير بها في اواخر المحرم سنة سبع وستين وسبع مائة فان كان رير للمعون فعل بالاسكندرية

ما فعلت فقد فعلت المسلمون بنصارى الروم قديماً أكثر ما فعل القبرسي اللص
بها لان المسلمين ملكوها واقاموا بها المئين من السنين والقبرسي دخلها لصا وخرج
منها هرباً .

- ٣ -

ذكر السبب الذي حمل صاحب قبرس على غزوة الاسكندرية وغير
ذلك من الواردات للمستطردات ، وذلك ان الله سبحانه اذا اراد أمراً وقد
تقدراً قدم على ذلك القدر المقضى اسباباً يتوصل الى ذلك المحتوم المقدر الا
ترى ان الله سبحانه لما قضى ان الافرنج تظفر بالاسكندرية كيف قدم على ذلك
المقدر المقضى اسباباً سبعة ، السبب الأول منعة السلطان الصالح ، ان السلطان
الصالح صالح (١) بن الملك الناصر محمد بن الملك للنصور (٢) قلاون سلطان
الديار المصرية والشامية وغيرها منع دواوين النصارى في سنة خمس وخمسين
وسبع مائة من الديونة وان احداً منهم لا يكتب بديوان الا ان اسم ومن بقي
على نصرانية يلبس حشن الثياب وان تقصر اكمامهم واذياهم وتصفى عمامتهم
ويركبون الحمر على شق واحد وكذلك ساير النصارى الذين فامثل ذلك
وكان فعل السلطان ذلك بهم عزة ونصرة لدين الاسلام وان تكون ساير
الدواوين في دولته مسلمين لا كافرين ثم أمر السلطان ان يفعل باليهود
كما فعل بالنصارى ان بقوا على يهوديتهم من تصغير العمام وتقصير الثياب وان
تتبرر نسوان النصارى باليزر الزرق ونسوان اليهود باليزر الصفر ليمتيزوا من
نسوان المسلمين بذلك فتعشت باليهود والنصارى عوام المسلمين صاروا يرمونهم
من اعلى الحمر بوكزهم لهم ويستسلمونهم بالضرب والاهانة ويتسبون في كتب

(١) اسم هذا السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح

(٢) في الاصل : الناصر ا

الحجج عليهم باسلامهم فعلوا ذلك بمصر والقاهرة والاسكندرية فصارت الافرنج
 بالاسكندرية لما رأو عوام المسلمين فعلوا بالنصارى الذميين ما فعلوه من
 استسلامهم لهم بالضرب والاهانة خافوا لثلا يرتدوا عن الاسلام اذا سافروا
 فصاروا يرفعون بضائعهم واثاثهم الى المراكب بسرعة وسافروا اخبروا نصاري
 الرومانية بما فعلته السلعون باهل النصرانية فكان ذلك والله اعلم سببا لهيجان
 القبرسى وطوافه بارض الرومانية وجمعه للصوص اهل ماء المعبودية وحشره يبه
 الى الاسكندرية ، وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر طوافه وجمعه لزعران
 النصارى ومساعدة ملوكها له حتى ظفر بالاسكندرية على حين غفلة من جيوش
 الديار المصرية ان شاء الله تعالى ، السبب الثانى كما قيل والله اعلم ان بطرس
 صاحب قبرس نعت الله ملكا ولى الملك بعد هلاك ابيه ريوك ارسل الى السلطان
 الملك الناصر حسن يسأله ان يرسم له بالتوجه الى بلد صور بسحل الشام ليجلس
 على عمود بهم كمعادة كل من يملك جزيرة قبرس لانه لا يتم له ملكها بزعمهم الا
 بالجلوس على ذلك العمود او مكانا يختص بالجلوس للملك فيه ليم له بذلك الملك
 ويصح له تعاد حكمه فى رعيته فاحترقه السلطان ومنعه الدحول الى بلد صور
 فكان ذلك والله اعلم سببا لغزوة الاسكندرية ، السبب الثالث انه اتى الى مينة
 الاسكندرية فى شوال سنة خمس وخمسين غرابا فيه كراساة اى لصوص (١)
 من الافرنج تشوش مينتها وتخطف ما تقدر على خطفه فصار الغراب المذكورا
 يدور من مينة الاسكندرية الغربية الى مينتها الشرقية فرأى مركبا اتت من
 جهة اللينة الغربية قدمت الى الاسكندرية من بر التركية فيها تجار المسلمين بمتاجرهم
 فهاجها الغراب المذكور وحاربها فحاربه وقاتله فلم يقدر عليها لعلو سمكها وخروج
 رماة المسلمين فى القوارب من الساحل لحمايتها منه رموا عليه سهامهم بقسى الجرخ

(١) انظر القسم الاخرى

التي معهم فسلمت منه ودخلت بحر السلسلة ارسى بشاطيه بالقرب من الباب
الاخضر فصار الغراب المذكور يحول يمينا وشمالا فارسل اليه الامير سيف بلاط
نائب السلطان بالاسكندرية باشارة تاج الدين موسى بن الخزرج ناظرها
قناصة الفرنج القيمين بها يستخبرونه عن امره وما سبب جولانه في المينتين فرجعوا
في القارب الذي ركبه اليهم اخبروها عنهم انهم يريدون ما يأكلون ويشربون
ويرتحلون فارسا لهم ما كولا وقرب ماء فاخذوا القرب بما فيها وكانت نحو الحسين
قربة وكلت المأكول خبزنا ورمانا وموزا وسحكا وغير ذلك ثم انهم نظروا
مركبا قدمت من الشام فوثبوا عليها اخذوها بما فيها من البضائع ورموا رجالها
بمينة بوقير ومضوا بها ولم يراعوا حق الاحسان بما طعموا وسقوا فكانوا كما قيل

ان العدو وان ابدي مسالمة اذا رأى فيك يوما فرصة وثبا

وسياتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر زورق المغاربة الذي اخذته الفرنج القبارسة
من مينة الاسكندرية بسقه والمركب الذي اخذته الفرنج ايضا من خارج مينتها
في توارمخها ان شاء الله تعالى ، ولما بلغ السلطان الملك الناصر حسن خبر الغراب
المذكور عز عليه ما فعل معه من المأكول والمشروب وقال العدو ينبغي جوعه
وعطشه فكيف يطعم ويسقي ليقوى علي اذي المسلمين ثم انه ارسل الامير سيف
الدين بكتمر الشهير بالوشاقى الي الاسكندرية كاشفا فحضر ونزل بدار العدل
المجاورة لبيت اللال وهو الذي كان بناها ايام ولايته بها فكشف عن الخبر وجرت
امور يطول شرحها ثم ان صاحب قبرس اتاه خبر الغراب المذكور وما فعله بمينتي
الاسكندرية مع ما اطعم وسقي ولم يخرج له احد حاربه ولا قاتله طمع فيها وكان
فعل الغراب المذكور كما قال الشاعر

امسور تضحك المنهاه منها ويحتشي من عواقبها اللبيب

فاستجاش القبرسي الجيوش من ارض الرومانية بعد ظفوره بمدينة انطاكية ير

التركية وتوجه بتلك الجيوش النصرانية نحو الاسكندرية والطلب على قدر عزة
المطلوب فيذل الروح والمال في ركوب المشقة لينال وصل المحبوب كما قال الشاعر
وكل تقيس القدر مطلبه وعز ومن طلب الحسنا لم يقنه المهر

ثم انه هان عليه سفك دمه بعد الجروح فيذل مهجته والروح ولسان حاله

يقول

تريدون ادراك العالوي رخيصة ولا بد دون الشهد من ابرالنحل

فلما تحمل المأمون المشقة وابذل في كلاب النصارى النفقة ولم يجد بالاسكندرية
احدا من جيش الحلقة دق فيها بجيشه دقة اكل اللحم وشرب الرقة كما سيأتي
ذكر مفصلا ان شاء الله تعالى فافتخر المأمون بظفره بالاسكندرية بين ملوك
النصرانية ، السبب الرابع ان غرابا هجم على الجزيرة المقابلة لرشيد
واخذ منها من المسلمين خمسة وعشرين تقرا ما بين رجال ونساء وصادف احد
الفرنج بتلك الجزيرة بقرة يتبعها عجلا فضرب الفرنجي العجل بسيفه قطعه نصفين
فلما رأت البقرة ما فعل المأمون بانها هجمت عليه نطحت بقرتها القته بالارض
سريعا وصارت تتابع عليه النطح حتي قتلته فاخذت ثأر ولدها وكان خلفها خصا
من القصب فيه ثنية من الرعاة ليس بايديهم غير عصيهم فقصدتهم جماعة من
الفرنج ليستأسروهم فصارت البقرة تهجم فيهم وتهمهم عنهم الي ان اذركتهم
المسلمون بالاسلحة القاطعة والجواشن المانعة فهربت الفرنج عند رؤيتهم لهم فكانت
تلك البقرة سبب سلامة الذين كانوا بالخص المذكور ثم ان المسلمين لما رأوا الفرنجي
مطروحا بالارض قتيلا متضمخا بدمائه وولد البقرة مقسوما شطرين سألوهم عنها
فاخبروهم بفعل البقرة بالفرنجي حين قتله ولدها وسلامتهم من الاسر بسببها
فاخذ صاحب البقرة سلب الفرنجي وقال غنيمة يقرني فقد جاء في الحديث من
قتل قتيلا فله سلبه والبقرة ملكي وقد جاء في الخبر انت وما لك لسيدك

ثم ان الفرنجى قتل البقرة صلب ورجم وصارت الدس تاتى لتنظوه ويقولون
هذا قتل البقرة هكذا أخبرني بذلك رجل من أهل رشيد والله اعلم ثم ان
القبرسي لما بلغه خبر الغراب وما فعله بجزيرة رشيد من أخذ الاسدي منهم
قطع في الاسكندرية وعمل عليها حتى ظفروها . والسبب الحرام ان ثلاثة
اغربة اتوامينة بوقير وقت الفجر سابع عشرين شعبان سنة اربع وستين وسبع مائة
أخذوا من قصور البساتين ستة وستين نفرا من المسلمين وبين رجل ونساء
وصين واثث ومضوا بهم الى ساحل صيدا بالسف فقتلهم منهم المسمون ورجعوا
الجمع الى اوطانهم ببوقير ، وبوقير أرض بها بساتين وقصور وعى شرقي ظاهر
الاسكندرية على ساحل البحر الملح ، فذكرت الاسدي ان عدة الفرنج اصحاب
الغربان الثلاثة مائة نفس من جملة سيوفهم سيوف حسب مطلية بالقردير الابيض
يهموا بها لعدم قدرتهم على ثمن سيوف يشترونها لكن لما أخذوا قدام المسلمين
للمأسورين بصيدا صار لهم بذلك السيوف والسلاح فبأنه تعلى يملأه ويعتبه
ويخذهم فلما كان المسلمين حين اتوا الى بوقير سار بهم من معمرية جبال السلاح
أخذهم سرعة فلما بلغ القبرسي فعلهم ذلك ببوقير وما يجد أحدا من أهله في
وجوههم سيف واحد طمع في الاسكندرية . اسبب السدس انه أتى الى جهة
بوقير ست غربان جروا في البحر ليلا جريا ماسود لعدم جاسوسهم الذي يكون
في البر يقد لهم نارا في الليل يقصدون جهتها فسمعت الصيادون الذين يصيدون
السمك في الليل داخل البحر في قواربهم حس حذف تلك الغربان فحسدوا
حذرهم منهم فصمت الغربان بجزيرهم المسود الى جزيرة رشيد وكان جزيرهم اولا بقلاعهم
وجذفهم لبوقير فلما اتهد بهم الجاري الى رشيد من جماعة كبيرة من الفرنج
من ثلاثة اغربة اليها فظننت بهم المسمون فآوهم بكثرة عددهم وعددهم فهربت
الفرنج منهم طالين غربا من الثلاثة فسفهم احمد الجداوي المعروف بالباشق الى

اسقالة (١) الغراب رماها البحر قترامت الفرنج البحر ليعوموا الي الغراب عند تبريز الغراب بمن بقي فيه داخل البحر خوفا من سهام المسلمين فلما القوا الفرنج ارواحهم في البحر من شدة الخوف من المسلمين الذين اتوهم يبرعون غرقوا كلهم ثقل الحديد الذي عليهم منهم العموم الي الغراب المذكور فقدفهم البحر بعد ايام الي الساحل فكان عدتهم ثمانون رجلا فلخذوا اهل رشيد سلهم واحرقوهم بالنار، السبب السابع ما فعلته عوام المسلمين بالاسكندرية بقتلهم بها الفرنج النادقة فلما هم القبرسي بالعمارة علي الاسكندرية اعانتة البنادقة بسبب قتل المسلمين لاصحابهم بالاسكندرية وسأذكر فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل المسلمين لهم في موضعة المستحق له ان شاء الله تعالي ، ثم ان القبرسي لما قصد غزو الاسكندرية استنجد بملوك النصارى باشارة الباب لهم في ذلك ، والباب هو بتفخيم الباء الاولي وهو الذي تنقاد النصارى به ويؤمنون انه من ذرية الحواريين وعندده الصليب الاكبر الذي اذا ابرزه للفزولم يبق ملك من ملوك النصارى الا اني يحمشه نحوه فاذا خرج الباب بصليبه ذلك ارتجت له بلاد النصرانية فيظفر بتلك الجيوش القوية علي مملكة من خالفه من ملوك الرومانية فلما اعانت ملوك النصارى صاحب قبرس بالمال والرجال والغربان باشارة الباب لهم في ذلك تعمرت المراكب له علي ما قيل برودس لانها دار صناعة الفرنج فكانت عمارتها علي ما قيل في اربع سنين وذلك في مدة طوافة علي الملوك فلما رجع الي قبرس وجدهم تهاوا له فجمع ما جاء به علي ما عمر له وتوجه الي الاسكندرية ، وكانت الاخبار تأتي الي الاسكندرية بان العمارة عند القبرسي فاستهم نائب السلطان بها وهو الامير زين الدين خالد فرقع سورها القصير من جهة الباب الاخضر وصار يجتهد في العمرة ويرسل بطلب من الامير يلبغا الخلسكي (٢) مقدم الجيوش المنصورة للاعانة علي

(١) انظر القم الامريجي
(٢) دليما كذا في الاصل بدل الخالصكي

عمارة السور ويعلمه بخبير عمارة القبرسي للمراكب الحربية فيقول ان القبرسي اقل
واذل من ان يأتي الى الاسكندرية وما علم يلغوا ن شرارة احرق الجلود وبعوضة
اهلكت النمر ودولة قتات فيلا وبرعوثا اسهر ملكا جليلا.....، ثم ان القبرسي
اتي بعارته الى الاسكندرية فظفريا وتمكن جيشه منها من بعد صلاة الجمعة الى آخر
يوم السبت ثانية ذهب وسب وحرق وخرّب بعد ان قتل من المسلمين كثيرا فطوي
للمتقولين من المسلمين في يوم الجمعة فانه يوم مبارك..... وكان الخبر يأتي الى
القبرسي ان الاسكندرية بها طوايف قاعات بيتون بساحل ميثبا لم يعرفوا
الحرب ولا باشروه ابدا بل يخرجون مزينون باللبوس قد تطيسوا من فوق
العمائم التي علي الزوس يتحظرون في مشيتهم ويتطيون بطيبهم فزرغت لهم
النسوان ويصير كل واحد منهم بزينة فرحان ومعهم الاسلحة القتال لكن ليس
تحتمها الموقف الحرب رجال مع كل واحد منهم سيف تقلده مجوهر النصل جيده
مزخرف بالذهب كجمرة نار تلتهب ومع ذلك حامله جبان يفسح من نفيق
الغربان كما قال الشاعر

وما السيف الامستعار لزيئة اذا لم يكن امضى من السيف حامله

والحرب لها ارباب كالسباع كما قيل في الثل من لم يكن اسدا اقتربته
الضباع واكلته حيا ومن لم يكن كالعقرب طمع فيه كل كلب احرب كما قال
الشاعر

ومن لم يكن عقربا يتف مشت بين اثوابه العقرب

فلما علم القبرسي حالهم طمع فيهم وقال اذا لم يكن في الاسكندرية من لم
يحسن الطعن ولا الضرب فالظفر بها سهل لاصعب واذا لم يكن بها رجال حرب
مقيمة فالسلاح مع الجينا زيادة في الغنيمة والثنايا في السيوف كوامن لا يهيجها الا
الشجاع قال الشاعر

ان لنا يا في السيوف كوا من حتى يهيج في هياج
ومهيج يغشى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الافراج
فاتي القبرسي الملعون برجاله المجتدة المعروفين بالخيانة معهم اسلحتهم المعتدة
الفاطمة المستعدة قرأوا الرجال علي الساحل ليس عندهم ملبوس حرب طابل وقرأوا
فرسانهم عربان قد تحلوا بالكسيان فرمتهم الفرنج بالسهم فطاروا كطيران
الحمام فظفر الملعون بها ورتع في جوانبها وجرى ما سيأتي ذكره مفصلا ان شاء
الله تعالى فسبحن الملك العظيم الذي اذا اراد امرا قدم اسبه

ا. كرمب